تصفية الثغرة :

وكانت القيادة قد عيَّنَتْ اللواء / سعد مأمون قائد الجيش الثاني الميداني للقوات المصرية المخصصة لمكافحة الثغرة وقد خُصصت للقضاء على الثغرة فرقتين مدرعتين هما الفرقة 4 ، 21 ، وثلاث فرق مشاة ميكانيكي هي الفرق : 3 ، 6 ، 23 ، ووحدات للصاعقة والمظلات بالإضافة إلى قوات متخصصة من احتياطي القيادة العامة ، وكان قرار القائد أن يُدْفَعَ بهذه القوات للاشتباك والانضمام إلى قوات تصفية الثغرة .. ودارت معركة ضارية بالدبابات طوال الليل ، كان المصريون يقاتلون فيها دبابة دبابة ..

حتى أن جاويشًا إسرائيليًا من المهندسين الذين حاصرتهم قواتنا قال : " إن المصريين أغلقوا الطريق خلفنا ، فبعد أن فشل العدو الإسرائيلي في هجومه على الجانب الأيسر للفرقة 16 مشاة عند نقطة الاتصال بينها وبين الفرقة الثانية في محاولة لمنع الاتصال بينهما ، واستطاعت الفرقتان أن تتصلا وتكونا رأس كوبري للجيش الثاني مما قضى على أمل العدو الإسرائيلي في استغلال هذه المنطقة لتحقيق الاختراق .. قام في الساعة الخامسة مساءً يوم 18 أكتوبر بالهجوم بنحو 90 دبابة (

لواء /محمد سعد مأمون

قائد الجيش الثاني

كتيبة) ، وبكتيبة مشاة ميكانيكي بغرض الالتفاف من الجانب الأيمن للفرقة 16 مشاة ، ودار قتال عنيف استمر حتى العاشرة والنصف مساءً وتصدَّى أبطال الفرقة 16 للقوات المهاجمة الذين فشلوا في عملية الاختراق واضطر العدو لسحب بقايا قواته إلى الخلف لتجميعها ، ورغم أن بعض الدبابات الإسرائيلية نجحت في التسرب داخل خطوط الفرقة 16 مشاة لمسافة لا تزيد كثيرًا عن نصف كيلومترًا إلا أن عناصر المشاة نجحت في التصدِّى لها وتدميرها تمامًا ، وتمكَّنت الفرقة 16 مشاة في نفس الليلة من الاستيلاء على النقطتين القويتين في "الدفرسوار" باقتحام جرئ ورائع .. ويقول الجنرال "برن" عن موقف فرقته ليلة 18 أكتوبر : " بدأ المصريون يشركون في المعركة أعدادًا كبيرة من طائراتهم التي شنَّت غارات رهيبة على قواتنا .. وكانت خسائرنا بالغة فقد قضينا طوال الليل نخلي قتلانا وجرحانا بالطائرات الهليكوبتر .. وبعد هذا القتال العنيف حاول "شارون" وقواته الوصول إلى الإسماعيلية نتيجة للمقاومة الضارية من قوات الجيش الثاني المتمركز جيدًا ، ثم صدر قرار مجلس الأمن رقم (338) بوقف إطلاق النار اعتبارًا من الساعة السادسة و52 دقيقة من مساء يوم 22 أكتوبر 1973م ، واستغلت القوات الإسرائيلية الالتزام المصري بهذا القرار وأخذت بدفع قواتها التي تقدَّمت إلى مدينة السويس وخلال الفترة من يوم 26 أكتوبر إلى 28 أكتوبر أصبحت القوات الإسرائيلية محاصرة بين جبهتي المقاومة الشعبية بالسويس التي كان يقوها الشيخ حافظ سلامة وقوات التصفية المصرية للثغرة والتي أطلقت على خطتها اسم "شامل" ، وقد رأت

القوات المصرية ألا تسمح للقوات الإسرائيلية غرب القناة بأي هدوء أو راحة ، وحرمانها من تثبيت تحصيناتها ودفاعاتها غرب القناة ، وقد تطوَّرت الأعمال الدفاعية النشطة لقواتنا إلى الحد الذي جعل البعض يطلقون على هذه المرحلة اسم حرب الاستنزاف الثانية ، وكان هدف القيادة المصرية من ورائها :

- إحداث أكبر قرٍ ممكن من الخسائر في صفوف العدو في الأسلحة والمعدات والأفراد .
- القيام بعمليات إزعاج للعدو على أوسع نطاق ممكن فيصبح بقاؤه في القناة جحيمًا لا يُطاق .

الشيخ حافظ سلامة يتوسط المتطوعين وأفراد الجيش

- إرغام إسرائيل على الاستمرار في تعبئة قواتها الاحتياطية مما يرهق اقتصادها القومي ويهدد الحياة العامة بالشلل التام .
- منع العدو من تحسين وتحصين مواقعه شرق وغرب القناة على السواء .

لقد مُنِيَ الإسرائيليون بخسائر فادحة في الأرواح والمعدات منذ أولى محاولاتهم لإقامة كوبري يعبرون منه إلى غرب القناة مما تسبب في تأخير ذلك كثيرًا ، وكانت المدفعية المصرية والسلاح الجوي المصري من وقتٍ لآخر تلحق بهم أشد الخسائر ، وقد أكَّد ذلك ضابط إسرائيلي ينتمي للفرقة التي كُلِّفت بإقامة هذا الجسر ، قال : " لقد كنَّا تحت النيران طوال الوقت .. وكانت نيران المصريين حطرة جدًا .. لقد كنَّا هدفًا للمدافع والطائرات المصرية كما كان جنودنا في المواقع الأخرى يعانون من نفس الموقف .. ولا يوجد بيننا من لم يفقد صديقًا في هذه المعركة .. " ، وقال ضابط إسرائيلي شارك في الثغرة يُدْعَى "أموس" : " لقد كُتبت لي النجاة في تلك الليلة .. إن ما حث كان معجزة بالنسبة لي ، ذلك أن القذائف المصرية لم تكف عن تدمير تجمعاتنا ومواقعنا طوال الليل .. إنني لا أستطيع أن أفهم كيف نجوت مع بعض الجنود من هذا الجحيم .. " ، ويقول ضابط إسرائيلي آخر : " إن الضربات الموجهة إلينا لا تتوقف إنك تتلقى وتتلقى وتتلقى دون أن يكون في مقدورك أن تفعل شيئًا ، وكأن أحدًا يوقفك في ركنٍ ويوجِّه لك الضربات بقبضته .. وكل ما تستطيعه هو أن تتلقى هذه الضربات .. راجيًا أن تنتهي إلى كسر أسنانك فقط دون أن تفقد حياتك لها " . بل أن "شارون" نفسه اعترف لمراسل صحيفة

"نيويورك تايمز" فقال : " إنه من المتعذر على الإنسان أن يتصور كم كانت المعركة قاسية وشرسة ، وإني أعترف أنني كنتُ أخاطر بحياتي شخصيًا غرب القناة .. كان الموقف بالغ السوء .. لقد استطاع المصريون أن يأخذوا المبادأة والمفاجأة .. لقد كانت حربًا حقيقية .. ولقد أحسستُ أن الحرب سوف تتوقف في أي ساعة .. فالخسائر عالية ، والموازين الدولية تتحرك وفي أي لحظة قد ينزل على ميدان القتال قرار وقف إطلاق النار وحين يصدر هذا القرار ونحن في الوضع الذي كنَّا فيه .. فسوف يكون كارثة حقيقية " .ويقول الخبير العسكري العالمي الجنرال "بوفر" : " إن القوات الإسرائيلية في غرب القناة .. كانت رهينة في أيدي المصريين إذ أنها كانت بدون عمق استراتيجي مما كان يحول بينها وبين القدرة الفعالة على الدفاع أو الهجوم المؤثر . يُضاف إلى ذلك أنها كانت في قلب منطقة الحشد العسكري المصري .. إنها نوعٌ من حروب السينما ، ولولا قرار وقف إطلاق النار . واستغلال الإسرائيليين له بانتهاكه في الوقت الذي احترمه المصريون . لولا ذلك لتحولت هذه العملية السينمائية أو التليفزيونية إلى كارثة تقصم جيش الدفاع الإسرائيلي .. " .

إن تقييم النتائج النهائية لهذه الثغرة كما هو واضح يبين مى فشل الهدف الأساسي منها ، وما تحقق منها إن هو إلا محاولة لرفع الروح المعنوية الإسرائيلية ، والحصول على ورقة للمساومة ، وقد تحقق ذلك باستغلال إسرائيلي نذل لقرار وقف إطلاق النار ، كما قال خبير إنجليزي : " لو قسنا نحن هذا الإنجاز الضيق بما تكبَّدته القوات الإسرائيلية من خسائر فوق الاحتمال .. فإننا نجد أن النتيجة النهائية تبلورها تمامًا هذه الكلمات التي

قالها الجنرال الإسرائيلي "حاييم بارليف" عن قائد الثغرة : " لماذا يتبجح شارون ؟! " ..

تلك هي الثغرة التي جاهدت الدعاي الصهيونية في تضخيمها وجعلها عملاً موازيًا للعبور المصري والضربات القاتلة التي وجهتها قواتنا المسلحة والقوات السورية مع الجهود العربية المخلصة التي نالت جميعًا من إسرائيل وجيشها الذي قالوا أنه لا يُقهر ..

تلك الثغرة التي ضحَّت إسرائيل فيها بجنودها وضباطها يتساقطون قتلى وجرحى وأسرى بلا عدد ، وتركت الذين وصلوا منهم إلى الضفة الغربية فريسة لغارات رجال الصاعقة المصريين ومدافع ودبابات الجيش الثاني والقوات التي أحكمت عليهم الحصار من كل جانب للثغرة ..

لعل ما يلخص هذه الصورة الأخيرة للثغرة .. حالة الذعر التي كانت تنتاب الإسرائيلين بمجرد انطلاق بعض القذائف عليهم حتى أن الكثيرين منهم كانوا يبرزون من مواقعهم يصيحون موجهين نداءاتهم للمصريين الذين يحتلون مواقع في مواجهتهم قائلين : " لسنا نحن الذين أطلقنا هذه القذائف .. لا تضربونا !! .. " .

ونجحت القوات المصرية في إنهاء خطر الثغرة بعد تكبيدها خسائر فادحة ، ففي الفترة الممتدة من 23 أكتوبر وحتى 28 أكتوبر حدث 1500 اشتباك نيراني خلال 439 عملية ، أسفرت في الجانب الإسرائيلي عن الخسائر الآتية :

- **تدمير ما يأتي : 11 طائرة .**

41 دبابة وعربة مجنزرة .

10 رشاشات ثقيلة .

36 بلدوزر ومعدة هندسية وعربة ركوب .

- **إصابة ناقلة البترول لإسرائيلية "سيرينا" بعطبٍ جسيم .**
- **إغراق قارب إنزال بحري .**
- **مقتل 187 جندي وضابط إسرائيلي فضلاً عن مئات الجرحى .**

وهكذا إلى أن أُذيع اتفاق الفصل بين القوات الذي أنقذ القوات الإسرائيلية من هلاكٍ محقق ، فلقد كان الهجوم الإسرائيلي على مدينتي الإسماعيلية والسويس من الغباء بأنه لولا التدخل الأمريكي لوقف إطلاق النار لتمت تصفية القوات الإسرائيلية داخل الثغرة ..